٣ ـ الصيد في الأدب العربي

للدكتور عبد الوهاب عزام

وفي ديوان أبي نواس سبع وعشرون أرجوزة في وصف الكلب، وهو تارة يصف خلقة الكلاب وطباعها، وتارة يصف سرعتها وعملها في الصيد. منها الأرجوزة:

أفتُّ كلباً جال في رباطه ... جَوْل مصاب فر من أسماطه
عند طبيب خاف من سياطه ... فجنا به وهاج من نشاطه
كالكوكب الدرّي في انحراطه ... عند تهاوي الشد وانبساطه
لما رأى العلهب في أقواطه ... سابحه ومرّ في التباطه
كالبرق يذري المرو بالتقاطه ... مثل قلي طار في أنفاطه الخ

فهو يشبه الكلب في نشاطه واضطرابه ومحاولة الإفلات من الرباط بمجنون يستعصي على طبيبه ويفر من دوائه ومن بطشه

ثم يشبهه في انقضاضه سريعاً بالكوكب ويقول إنه حين رأى التيس البرّي في قطعانه عدا فرّا معاً يسبحان عدواً، واستمر الكلب يضرب الأرض بيديه فيطير الحجارة الرقيقة كما تتطاير الفقاقيع عن السمن الذي يغلى على النار. وهو وصف عجيب دقيق

ولا يتسع المجال لإثبات الأرجوزة كلها والتمثل بأبيات من الأراجيز الأخرى

ولأبي الطيب طرديات قليلة، منها أرجوزة يصف فيها كلباً يصطاد ولم يشهد الصيد ولكن أخبر به. وهو وصف إن فاته صدق المشاهدة فهو دليل على خبرة شعرائنا بالصيد وكلابه، ومعرفتهم بحركاته معرفة تيسر لهم الوصف بالغيب. قال واصفاً الكلب:

فلّ كلابي وثاق الأحبُل ... عن أشدق مسوجَر مسلسل
أقبّ ساطٍ شرس شمردل ... مؤجّد الفِقرة رخو المِفصَل
له إذا أدبر لحظُ المُقبل ... كأنما ينظر من سَجنجَل
يعدو إذا أحزن، عَدوَ المُسهل ... إذا تلا جاء المدى وقد تُلي
يُقمي جلوس البدوي المصطلي ... بأربع مجدولة لم تُجدَل
يكاد في الوثب من التفتُّل ... يجمع بين متنه والكلكل
وبين أعلاه وبين الأسفل الخ

فانظر كيف يصف خلقة الكلب وحركته، وتأمل الغلوّ في قوله له إذا أدبر الخ فقد ادعى أن الكلب في سرعة حركاته مقبل مدبر معاً فكأن الرائي يراه ويرى صورته في مرآة فيرى شكلين أحدهما مدبر والآخر مقبل

وقد افتن الشعراء في وصف حيوانات الصيد الأخرى كالفهد وجوارح الطير من البازي والباشق واليؤيؤ والعقاب الخ. ومن هذا وصف العقاب في شعر أبي الفرج الببغاء:

ما كل ذات مخلب وناب ... من سائر الجارح والكلاب
بمدرك في الجد والطلاب ... أيسرَ ما يدرك بالعُقاب
شريفة الصبغة والأنساب ... تطير من جناحها في غاب
وتسبر الأرض عن السحاب ... وتحجب الشمس بلا حجاب
يظل منها الجو في اغتراب ... مستوحشاً للطير كالمرتاب
ذكية تنظر من شهاب ... ذات جران واسع الجلباب
ومنكب ضخم أثيث رابي ... ومَنسِر موثّق النصاب
وراحتي ليث شرّي غلّاب ... نيطت إلى برثن صلاب
مرهفة أمضى من الحراب ... وكل ما حلّق في الضباب
لملكها خاضعة الرقاب

وأبو الفتح كشاجم من أكثر الشعراء ولعاً بالصيد، وله فيه كتاب. ومن شعره في وصف الباشق، وهو ضرب من العُقاة:

يسمو فيخفى في الهواء وينكفي ... عجلاً فينقض انقضاض البارق
وكأن جؤجؤه وريش جناحه ... خضبا بنقش يد الفتاة العاتق
وكأنما سكن الهوى أعضاءه ... فأعادهن نحول جسم العاشق
ذا مقله ذهبية في هامة ... محفوفة من ريشها بحدائق
ومخالب مثل الأهلّة طالما ... أدمين كف البازيار الحاذق
وإذا انبرى نحو الطريدة خلته ... كالريح في الإسماع أو كالبارق
وإذا دعاه البازيار رأيته ... أدنى وأطوع من محب وامق
وإذا القطاة تخلفت من خوفه ... لم يعد أن يهوى بها من حالق